حسن عبد الرحيم الطيب

كلية الشريعة والعلوم الاجتماعية، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان

❖ المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة المنهجية الإسلامية (2)، بحوث ومناقشات المؤتمر الرابع للفكر الإسلامي، 1412هـ/1991م، ج3: المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية التربوية، ص 383–404، [22 صفحة من القطع المتوسط].

❖ لغة البحث (الكتاب): اللغة العربية.

❖ مجال البحث (الكتاب): الشخصية الإنسانية – التصوف (الباراسيكولوجي).

❑ ❑ ❑

الورقة في أساسها حديث عن المعجزات والخوارق والقوى الروحية، أي أن مجال الورقة هو «ما وراء علم النفس Parapsychology» أو ما يسمى بما وراء الطبيعة، أكثر مما هي في مجال علم النفس ذاته. وبمعنى آخر فالورقة تطرق مجال العوالم فوق الحسية (في غير عالمنا المحسوس) لتشير بعد ذلك إلى محاولة تصنيفها في علم الغيب.

ركزت الورقة على منهج الإنسانيات أو بالأحرى علم «الإنثروبولوجيا الاجتماعية Social Anthropology» ونظم المعتقدات فيه. ليبدأ الباحث بعرض ما يدخل في باب السحر أو التصوف أو تحضير الأرواح كما هي في منطقة جبل السيلك في السودان وما يقوم به (الدراويش) هناك من أعمال لا يمكن تفسيرها علمياً أو السيطرة عليها تجريبياً أو يمكن قبولها منطقياً.

إلا أن الباحث يريد تفسير هذه الظواهر الغيبية الخارقة التي نُطالَب بالإيمان بها (القول للباحث) من خلال القرآن والسنة والتراث ابتداءً بشرح المصطلحات والألفاظ المحلية (الرطانة) مع قدر كبير من «التفكير الثوري»!!:

- فطيران مصحف من بيت يحترق لبيت آخر
- ودرويش يهرس الحجر المتقد ويمشي على النار
- وعمليات جراحية روحية (ينقلها عن الممثل المصري يوسف وهبي!!!)...، وغيرها كثير قد درست من قبل غير المسلمين على

أنها شعوذة يقوم بها أفراد من الشعوب البدائية والمتخلفة. رغم ظهور الكثير جداً من الجمعيات الروحية في أميركا والكثير من البلدان الأوروبية وسعة انتشارها ومحاولة الكنيسة لِلم شملها فيهم. ويجد (الباحث) أن الشباب المسلم يعاني من مثل هذه الإزدواجية العلمية العقدية إزاء معالجة أو تفسير مثل هذه الظواهر، وكيف أن المنهج العلماني يحاول أن يسد أذنيه ويغطي عينه لكل ما يراه لئلا يُحرَج من هذه الظواهر التي تناقض منهجهم العلماني. ومثل هذه الإزدواجية إنما هي من وجهة نظر الباحث أكبر معوق للمنهج الإسلامي بسبب هذا الطغيان الفكري الأوروبي. ثم يطالب الباحث بتكوين جماعات بحث «Task forces» من مختلف التخصصات لتكوين (نظرية إسلامية للظواهر فوق الحسية)، مع ضرورة إشراك علماء مسلمين من العلوم التجريبية الحديثة الأخرى.

مرة أخرى يطالب الباحث بمراجعة ملف (الزار) مراجعة جديدة من وجهة نظر إسلامية، ثم يعرج إلى الأطباق الطائرة ليحاول ربط وجودها بمخلوقات غير مخلوق الإنس.

وينتهي الباحث أخيراً إلى دعوة العلماء المسلمين للدخول في باب دراسة التصوف والصوفية، ويذكر بعض الإسهامات في هذا الباب من الكتب الحديثة وكتب التراث ليدعو إلى قراءتها وتفحصها لمساعدتهم في بناء المنهج الجديد.

❑ ❑ ❑

عناوين رئيسة:

علم ما وراء الظواهر فوق الحسية، التصوف، الدروشة.

❑ ❑ ❑

ملاحظات:

- بحث غير متزن وغير متماسك وليس له منهجية ثابتة، ولا يدخل لا في باب الأسلمة ولا التأصيل الإسلامي لعلم النفس.

- وهنا سيوجه لي السؤال المنطقي: لم أدرجته إذاً في المَسَرد؟

وإجابتي عن هذا السؤال بسيطة جداً:

قمت بسرده لأضرب مثلاً عملياً في محاولة جر مشروع التأصيل الإسلامي لعلم النفس عن منهجيته وعلميته (لا علمانيته بالطبع) وواقعيته ووظيفته الحياتية اليومية للإنسان الفرد وللإنسان الأمة إلى خارج العِلم وإدخاله في متاهات الغيبيات أو الغيب الذي لا يعلمه إلا الله (عند أحسن الظن) أو الشعوذة والدجل (عند أسوء الظن) والعياذ بالله.

- ومثل هذا البحث لم التقطه من خارج سوق الأسلمة لعلم النفس، فهو مقدم إلى مؤتمر علمي عالمي للفكر الإسلامي عموماً وفي باب العلوم السلوكية على وجه الخصوص، ومنشور في أدبيات ذلك المؤتمر.
- هنا يجب أن يكون لعلماء النفس المسلمين وقفة صريحة جادة في نوع ومنهجية الطرح الإسلامي لمفاهيم ومضامين علم النفس. وإلا، فإن ما ذكره الدكتور مالك بدري في ذات المؤتمر (معروض في المَسَرد) عن وجود تيار متطرف من علماء النفس المسلمين ضد مشروع التأصيل الإسلامي لعلم النفس سيكون لهم المبرر دون شك لوقوفهم ضد المشروع.
- وتبقى مشكلة كبيرة في باب الأسلمة أو التأصيل، وهي: إلصاق (الإسلامي) بكل عمل أو إرجاعه للإسلام. والقسم الكبير منه لا علاقة له به وهو منه براء.

❑ ❑ ❑